



افسون -
«حب» (صورة)
فوتوغرافية على
ورق - 30 x 43
سنتم - 2007

النهار كلب شريد يحوم حول الدار

زكريا محمد *

حط الليل على جبيني،
تساقطت النجوم، وتسافتت مثل القطط
على التراب. أحلف كل صباح أن أحذف
الليل والنهار من قائمة أصدقائي،
لكنني لا أبز يميني. أحلف أن أمحو اسم
نسرين، وأن أضرب بالحجر جبينيها،
لكنني أحنث في يميني.
لدي أصابع من طين، ولدي مقاطع
حنين.

لكن حروف العطف كلها لا تسعني
كي أعطف يدي على كتف الحبيب.
لا تنفعني كي أفلت نفسي من عروة
قميصه.

سأحملك إلى رماد يا قبيلة المحبة،
سأحملك إلى زانية أيتها الوردة.
حط النهار على جبيني.

حطت الخليل على ظهر كفي.
ويحه من قسم الأمور هكذا. من جعل
نسرين قبيلة وحدها. ومن جعل الليل
يقضم جبيني ويفلت جبينيها.

2018-9-16

أطفأ السراج ذاته فوق الحجر.
لذا حان الوقت كي أعيدك إلى أهلك
سالمًا يا حبيبي.
لكن خلّني قبل ذلك أكتب بضع كلمات.
لا يصلح الأمر من دون كلمات أخيرة.
فالفجر سيغير الحقول عما قريب. وأنا
أريد أن أعلق في عنقه جرساً، وأن أنحر
لمقدمه فرساً.

يا حبيبي، فمي يهتف باسمك، لكن
قلبي يرحلني عن طريقك، ويقزعني
فيك: دع المحبة لمن هم أقدر منك، دع
الأمانة لمن يقدر على حملها. هكذا
يدعني، ويقول لي:
بلى، الأمانة أكبر مني، المحبة أكبر مني،
وسراجي يدخن مطفاً فوق الحجر. لذا
سأحملك إلى أهلك.

ميراثي كله سأتركه لك. سأترك لك
النخلة ماثلة، كي تتدنى إلى يديك

عراجينها، وأترك لك الجرة في الظلة كي
يبترد لك ماؤها.

لا أمل لك في يا حبيبي. لا أمل في
الشمس التي تطلع من مخدي مطلعي،
ولا في العقيق الذي يحرق إصبعي.
غفا السراج فوق الحجر.

غفا الحبيب على ذراعي.
والفجر قطيع ضأن يعبر الحقل،
والأجراس تتدلى باكية من أعناقهم.

ما أعظمك يا نخلة. ما أعظم يدك التي
بعشرين إصبعاً. وما أعظم ثمرتك التي
تتجر تحت الشمس كالعقيق. وددت
لو أنني قدر يغلي تحت ذلك.

وانت أيضاً ما أعظمك يا عقاب. يا من
تذعرب بصيحتك الشمس ذاتها. وددت
لو أنني حجر تحت جناحك.

كل شيء هنا أعظم مني وأرفع شأنًا.
كل شيء يجر فخوراً تاريخه الطويل
وراءه مثل ذيل التدرج. أما أنا فأزحف
على بطني كأنني ثعبان. «احفر وجودك
بالرمح على الصخرة»، يصيح بي الرب.
«اطبع شفتك على قلبي»، يصيح بي
الحبيب.

وأنا تائه لا أميز بين الصخرة والصخرة.
بين بيت الحبيب وبيت الغريب.

وجودي ليس مؤكداً بعد. الكلمات
تعوزني. وليس لي سعف أضرب به
الريح على خصرها، ولا جناح أكسر به
صلف جبل الأربعين.

2018-9-27

الصيف صاحب قطعان كبيرة.
وفي الليل تجوب نجومه السماء مثل
كلاب ضالة.

لكن ما همني الليل؟ أنا بانتظار النهار
كي يمزق صقر أريد بجناحه ساتان
السماء الأزرق، وكي تشعل شمس أريحا
بولاعتها الوثائق والحقائق كلها.

شجر البايبي أعلى من النخيل كله.
البايبي سنة، والنخيل فرض. واليامة
تنقر بينهما عين الشمس وتبكيها

في الوقت عينه. وهناك من يصف في
الصناديق كيزان الذرة. هناك من يضع
الحقيقة على وضم ويكسر بالبلطة
عظامها.

أيها العابر قرب بيتي سأعطيك فرسي.
فليس بي حاجة إلى الخيل وأعرافها.
الخيل أمر عابر، وهي تسرج للعابرين.
أما أنا فمقيم هنا تحت قدم جبل
الأربعين. ما إن يحط غراب على نخلة
حتى يسود جناحي. وما إن يضرب
السواد جناحي حتى تدب الصفرة في
العراجين.

حلت الظهيرة. الكائنات انتعلت لظلالها.
الشمس أحرقت دفاترها. وادخل
الصيف أنعامه في حظائرها.

أما أنا فلست سوى يمامة تقضم قرص
الشمس وتبكيه في أن.

2018-9-3

أمشي في بستان أب بين الشوك
والطيون. أدني بمحجني غصن تين
والقط ثمرة. أدني غصن خروب كذلك.
الأغصان كلها تنداني. كلها تتفاني في
خدمتي. سوف أتبك بزهرة من زهور
آخر الصيف، مع أن الزهور حيرة كبيرة.
فالحجارة زهور، وفقاعات الصابون
زهور.

”

أيها العابر قرب بيتي
سأعطيك فرسي. فليس
بي حاجة إلى الخيل
وأعرافها. الخيل أمر عابر،
وهي تسرج للعابرين

“

أنا لا أعرفك، لكنني أعرف الزهور التي
تليق بك. سوف أعقد لك واحدة خلف
أذنك، وواحدة على كتفك. سوف أفرش
البتلات في مخدعك.

الحب زهرة، والكراهة زهرة أخرى. وأنا
أعب بهما كأنهما زهرتا نرد. كأنهما
حجر بذ يعصر بثقله حب الزيتون.
أنا مشوش قليلاً. لا أعرف بقيتنا ما الذي
أقوله، وما الذي أسعى إليه.

أعرف فقط أنني نصبت خيمة صغيرة
في المنحدر، وأنني نصبت حجارة كي
أدل العابرين على طريقهم.
أدني بيدي غصناً، وأدني بمحجني
شوكة.

ما أعظم نصيبي في هذه الفانية!
ما أعظم فتنة هذه الغانية!

2018-8-26

في أول الليل ليس هناك سوى نجمة
واحدة: نجمة الزهرة. أرفع رأسي
وأمشي تحنها، وهي تسكب حليبها
على جبيني.

وفي منتصف الليل ليس هناك سوى
مريم المجدلية في تحتها الفارغ الكبير.
وقد أبكاني هذا.

لا أحب أن أبكي. لكن الحقيقة أنني بكاء،
وأن دموعي تصب في بحيرة الليل
السمراء.

لا بأس يا أحبتي، لا بأس. احتملوا
بكائي قليلاً. احتملوني وأنا أعرج على
ساق في ليلة المعراج.

وحين أموت أرفعوني إلى درب التبانة.
ضعوني هناك في نعش «بنات نعش».

أريد أن أكون نديماً للفرقدين. أريد أن
أكون قدحة صغيرة بين نجمتين.
وأجعلوا صندوق أوراقتي معي. أريد أن
أعمل هناك على مقطوعاتي. مقطوعة

للنهار، ومقطوعة للليل. مقطوعة
للسيف ومقطوعة للضيف. فالشعر
رحلة لا تنتهي.

في آخر الليل ليس هناك سوى نجمة
كبيرة واحدة. ليس هناك سوى شفة

صامته.

2018-8-26

■ ■ ■ ■

ليس لطائر الصرد ابن كي أكنيه به،
وأناديه: مرحباً يا أبا دجاجة. لذا دعوني
أكسر له جناحه.

بل دعوني أصيد النهار ذاته كما لو أنه
طائر صرد.

أعرف كيف أشتكم وأشتت نفسي، أنا
من أكلت رغيف النهايات في البدايات.
أنا من قست عمري بالكنايات.

فإلى أين تريدون أن أمضي بكم؟
ليس هناك هاوية أعمق من العين ذاتها.
لذا سأجعلكم تحذقون في عيني. في
السبخة المالحة التي تنبت قصب اليباس
الملعون.

2018-8-24

■ ■ ■ ■

كان الأحبة مجتمعين في البيت حولي.
لكن أذان الفجر شتتهم.
فتحت الحنفية وتوضأت. ثم صليت
ساجداً فوق الظباء على السجادة.

عبرث طيور الفجر في العتمة. في
مناقيرها أعواد قصيرة. النور أبدأ
عبدان قصيرة. النور أبدأ عبدان قصيرة.

الروح لا تقنع بما يوضع في الطبق
أمامها. الروح كلبه مرضع، جراًؤها
تبكي جائعة في الوكر.

في ما مضى كان الزمان كريماً معي. من
عليّ ومسح بالخضرة شفتي. مع ذلك
فقد ظل العدم يحوم مثل كلب شريد
حول داري.

العدم فصل طويل لا نهاية له.
مضى الأحبة في الفجر عني.
ناديتهم: خلّكم هنا يا من مزق العدم
رثاتكم. اقعوا كي أغني لكم وأسليكم:

النور عبدان قصيرة، الفرح أيام قليلة.
اطفات النجوم خيامها، طارت المناديل
في عتمة الفجر، والنهار كلب شريد
يحوم من بعيد حول الدار.

2016-2-8

* شاعر فلسطيني